بقلم : صبرى أبو المجد

رجل الحرب صانع السلام

السادات لم يغير مجرى التاريخ وحسب.. بل أملى إرادته عليه

●● أعظم ما فى انور السادات الانسان ايمانه القوى بربه وشعبه ،ونفسه ، وثقته المطلقة التى لا حدود لها فى حتمية انتصار الخير على الشر وان اطلمت السبل وتكاثرت المصاعب وتوالت الاخطار .

واروع ما فى انور السادات المواطن المصرى العربى انه ـ ومنذ شبابه الباكر ـ نذر نفسه لخدمة بلده وشعبه مضحيا فعلا ، لا قولا بكل مايملك فى هذه الحياة بما فيها حياته هو شخصيا فى سبيل تحقيق الحرية والرخاء لشعبه ولبلده .

واقوى ما فى انور السادات القائد المناضل ، انه يفضل ـ وباستمرار ـ الطريق الاصعب على الطريق الاسهل ، ايمانا منه بان الطريق الاصعب اضمن الطرق واكثرها اقترابا من تحقيق الهدف ، والغاية ، واخطر ما فى انور السادات الرئيس والقائد انه عندما يؤمن بضرورة اتخاذ قرار ما لصالح شعبه لايتراجع ابدا ولعب الى الظروف واعتفها عن تنفيذ هذا القرار مهما كلفه تنفيذه من صعوبات ومخاطر .

منذ بداية شبابه المبكر آمن بقضيتى الحرية والديمقراطية وصمم على ان يخوض من اجل تحقيقهما كل المعارك بكل الاسلحة :

حمل رأسه على كفه وانطلق ـ وبدون هوادة او تهيب لاية مخاطرة ـ يقاتل كل مخاطل الشر غير عابىء ، بقوتها ، وبسطوتها وجبروتها : قاتل وهو الشاب الاعزل من كل سلاح ، الا من سلاح الثقة فى الله ، وفى الشعب ، قاتل قتالا شاقا مريرا ، دون ان ينتظر جزاء ، ولا شكورا ودون ان يخشى فى قتاله هذا طردا من وظيفته ، او تشريدا له ولاسرته ، بل دون ان يخشى الموت فاته ، غاية فائدة للحياة فى وطن مكبل بالاغلال والسلاسل والقيود ؟ واى معنى للعيش فى بلد محتل بسبعين الف جندى اجنبى تعبث بمصالحه ومستقبله ايدى الاجانب من كل جانب ؟ بل اية لذة يمكن ان يشعر بها المرء ، فى الحياة طالما هو لم يشعر بالعمل بكل ما يملك من قوة وبالتضحية بكل مالديه فى سبيل تحقيق الحرية والرخاء للشعب الذى ينتسب اليه ؟ فى كل معركة خاضها انور السادات ضد القوات البريطانية المحتلة لارانى مصر ، لم يفكر انور السادات مرة واحدة فى نفسه ، ولم يمر بخلده ولو مرة واحدة هل يعود من تلك المعركة سالما او لا يعود : كل ما كان يفكر فيه ، كل ماكان يدور بخلده ان يؤدى واجبه تجاه قضية تحرير الوطن من العدو المحتل ، اوان يحقق نصرا ما اى نصر لهذا الشعب العظيم على عدوه المغتصب الذى يبالغ فى استغلال مصر واذلالها ●●

يطرد انور السادات كضابط من الجيش وخدمة الجيش

● يومئذ أغل وأحلى أمانى الشباب ، يفصل ، يعتقل ، يسجن ،

يشرد ، يجوع ، يتعرى ، يظل متخفيا عن أعين الاحتلال واذنابه فى أشق الاعمال واعنفها ليكسب لقمة العيش ، يتحمل ـ كما لم يتحمل أحد غيره لا من العسكريين أو المدنيين ـ كل أنواع المعاناة فلا يضعف ولا يلين ولا يتراجع عن اختيار الطريق الاصعب فيختار فى تلك المحنة التى يمر بها الطريق الاسهل . بل يبقى فى انون المعركة جنديا شجاعا يناضل وحده فى الميدان بكل مايملك من جهد وقوة ، يكافح بما تبقى له من اسلحة وفى مقدمتها ـ اقوى الاسلحة ـ الايمان كفاحا بطوليا رائعا .

●●●

وعندما تقوم ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ المجيدة الخالدة ، يأبى انور السادات كالعهد به دائما ، الا ان يختار الطريق الاصعب : كان من السهل عليه مثلا أن يكتفى بدوره فى تكتله الى أن تتجلى الأمور فان نجحت الثورة فهو من ابرز قوادها ، وان فشلت الثورة فهو لم يكن الا واحدا من مئات قاموا بها .. ولكن انور السادات رجل الموقف الصعب دائما ورجل الطريق الاصعب دائما يأبى الا ان يكون هو أول من يذيع وبصوته أول بيان للثورة : يأبى الا أن يكون أول ضابط يعترف العالم ، اسمه وصورته ، يأبى الا أن يكون هو المفاوض ـ على رءوس الاشهاد ـ الذى يحمل الى رءوس العهد الملكى والاقطاع تبليغات الثورة واقتراحاتها ، واوامرها .

***

وعندما تصاب مصر ، فى كبريائها بضربة قاتلة ، او شبه قاتلة : عندما تنهزم قيادتها العسكرية والسياسية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ : لا يتآمر انور السادات ضد القائد كما تآمر اقرب الناس اليه ، لا يتنصل انور السادات من مسئولية الهزيمة كما تنصل منها صناعها وذلك بالرغم من انه كان بريئا من مسئوليتها بعيدا عن ميدانها ، لا يبحث لنفسه عن مخرج من المأزق ، الخطير ، الذى قادتنا اليه الهزيمة كما فعل كثيرون من القادة ، تماما مثلما تفعل الجرذان فى السفينة الغارقة : يختار انور السادات ـ كالعهد به دائما الطريق الاصعب يقف وحده الى جانب القائد فى كل المعارك السياسية والعسكرية لا يفكر فى شىء الا ان يعود لمصر الحبيبة املها الحلو المشرق والا ان تستعيد مصر ـ امنا جميعا ـ عزتها ، وقوتها ، وكرامتها .

ويعرف عبد الناصر طيب الله ثراه ، ما قام به انور السادات وهو الى جانبه فى اخطر محنة مرت به وبمصر ، يعرف عبد الناصر يرحمه الله انه اقدر زملائه على تحمل مسئوليات المرحلة الجديدة فيختاره فى احلك الظروف وفى اشدها قسوة وعنفا نائبا له .

رجل الحرب صانع السلام

وبعد وفاة عبد الناصر بايعى أنور السادات أيضا الا اختيار الطريق الأصعب : لقد تولى أنور السادات المسئولية فى أكثر أيامنا حلكة وسوادا ، تولاها وكل سلطة فى الدولة فى أيدى مراكز القوى : الجيش ، البوليس ، المخابرات ، الصحافة ، التنظيم السياسى كل شىء فى مصر « مملوك » لتلك المراكز تتصرف فيه كما تهوى وتشاء ، ولم يكن أسهل على أنور السادات من أن يختار الطريق الاسهل : كل واحد فى موقعه : كل شىء فى موضعه : له السلطة الشرعية ، التى لم يكن أحد يناقسه فيها أو يميل الى منازعته عليها : لهم كلهم السلطة الفعلية ، التى يتحكمون فيها فى كل صغيرة وكبيرة من أمور مصر ،

ولكن أنور السادات لم يكن ، ولن يكون أبدا ، الحاكم الشرفى ، الذى يترك مصائر الشعب لمن يتاجرون به وبمصالحه ، ولم يكن ولن يكون أبدا أنور السادات الرجل الذى تغريه أبهة الحكم وعظمته فينسى امال الشعب ومطالبه ، ولم يكن ولن يكون أنور السادات أبدا ذلك الرجل الذى يتردد فى انقاذ الشعب من أشد المخاطر التى يتعرض لها ، ورغم أنه كان يعرف جيدا ان فى أيدى تلك المراكز كل القوة ، ورغم أنه كان يعرف جيدا ان هناك قوى خارجة تناصر هؤلاء وتدعمهم ورغم انه كان يعرف جيدا ، ان الشعب مكبل بالقيود والاغلال بحيث لا يستطيع ان يتحرك كما يجب للقضاء على من يذلونه ويستغلونه و . و .. الا أنه — كالعهد به أيضا — اختار الطريق الأصعب : استعان بالله وبالشعب فضرب ضربته القاضية وهو مقدر تماما أن أى خطأ وان كان صغيرا فى التكتيك يمكن ان يدفع هو حياته ثمنا له : وكان النصر رائعا وما النصر الا من عند الله يؤتيه من يشاء !

ومنذ ١٥ مايو ١٩٧١ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وأنور السادات يسير فى الطريق الأصعب ، انه يريد ان يعيد بناء القوات المسلحة فى ظروف بالغة القسوة لانه كرجل عسكرى يؤمن بأن السلام لا يتحقق الا عن طريق القوة ولانه كرجل سياسى يؤمن بأن العالم كله لا يحترم الا الشعب القوى ، وهو يريد كرجل عسكرى وسياسى — ان يعيد للشعب قوته ، ووحدته ، وايمانه القوى بأن الحرب التى هو مقدم عليها هى حرب . لن تحرر له أرضه فقط ولكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحب وقيما أغلى وأرفع كما سوف تحمل له أملا فى أن يتطلع الى مزيد من الديمقراطية لن تتحقق له كاملة الا فى وطن قوى عزيز .

وما أكثر صنوف المعاناة التى عانى منها الرئيس السادات فى فترة ما قبل الحرب ، داخليا وخارجيا ، اتهامات خطيرة هنا وهناك توجه الى الرئيس السادات ، والى مصر ، حملات تشكيك لا مثيل لها هناك وهنا : مصر انتهت مصر لن تدخل المعركة ، منشورات ومؤتمرات . أموال وفيرة كنا أحوج ما نكون الى بعضها لننقذ اقتصادنا المنهار .. هذه الاموال الوفيرة كانت تنفق — بدون حساب — على كل يقول كلمة ضد مصر و ضد السادات .

❋❋❋

ويتحمل السادات كل ذلك فى صمت وألم : كان يستطيع أن يختار الطريق الاسهل ، كان يستطيع ان يقول كل شىء عن أولئك الذين وعدوا ولم يوفوا بوعودهم ، كان يستطيع أن يقول كل شىء عن أولئك الذين يصافحوننا وهم يحملون وراءهم الخناجر والسكاكين لضربنا فى قلوبنا وصدورنا . كان يستطيع أن يضع كل النقط فوق كل الحروف ولكنه اعتصم بالصبر والصمت تحمل المعاناة ، التى لا يمكن أن يتحملها بشر . وكان قرار العبور ..

ولم تكد مصر ، تطلق شرارة الحرب فى سيناء ، ضد اسرائيل حتى ، اطلقت جماعات من العرب — بكل اسف — شرارة الحرب ضد مصر ، وشعب مصر ، وقيادة مصر ، فى نفس الوقت ! راحت تلك الجماعات ، بكل ما تملك من وقاحة ، تنادى بالويل ، والثبور ، وعظائم الامور : تصف حرب أكتوبر ، التى تقدم كل ساعة ، بل كل دقيقة من الضحايا أضعاف ما كانت تقدمه الحرب العالمية الثانية ، تصفها بأنها تمثيلية : انها ليست حرب تحرير ، ولكنها حرب تحريك ، وتطوع « احدهم » — غفرالله له — فى عاصمة اوروبية ، ليعلن على رءوس الاشهاد وأمام عشرات من الصحفيين الاوروبيين ، ان الحرب التى اقدم عليها الرئيس السادات ، بدون ان يحيطنا علما بموعدها ، لن يكتب لها النصر ابدا وانما سيلحق بالمصريين الهزيمة المرة فى خلال ساعات ، ولم يقل هذا الواحد لمن اجتمعوا حوله انه كان باستمرار ، يحرض مصر ، على ان تخوض الحرب فى وقت لم تكن فيه هى مستعدة لخوض تلك الحرب لكى تنهزم مصر ، ويبقى هو وحده ، القائد ، والزعيم ، والمنقذ ، ويأبى هذا الواحد ، الا أن يتنصل تماما من مسئولية الحرب ، وكأنما هى داء يجب الابتعاد عنه ، ولم ينطق رجل الموقف الصعب ورجل الطريق الصعب بكلمة واحدة : كان يستطيع فى هذا الوقت — وليته فعل — ان يحرق تلك الجماعات والى الابد ، لو انه كشفهم « وعراهم » امام الرأى العام العربى : كان يكفى ان يذكر لهم بعض ما قاساه من بعضهم ، وهو يتأهب للحرب : كان يكفى أن ينشر بعض الوثائق ، التى تدين هؤلاء الذين لم يحاربوا ابدا ، ولن يحاربوا ابدا ، اللهم ، الا تلك الحروب « الكلامية » التى تنطلق فى الاذاعات .. ولكن أنور السادات رجل الموقف الأصعب ، والطريق الأصعب لا يعرف الا عدوا واحدا ، وهو ذلك الذى وقف كل قواه للهجوم عليه ، ولانه يملك قدرا كبيرا من الصبر ، وطاقة كبيرة من التحمل ليست لدى أحد غيره .

وتنتصر قواتنا المسلحة أروع انتصار ولأول مرة فى تاريخ الحروب يقف قائد منتصر يلوح بغصن الزيتون ، يرفع راية السلام ويقول فى مجلس الشعب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

● اننا كنا ولا نزال نريد الحق ، ولا نريد الحرب ، لكننا كنا ولا نزال نريد الحق ، حتى اذا فرضت علينا الحرب ، وحين كانت نشوة الانتصار تملأ القلوب فانى كنت فيما بين نفسى ، وبين ربى ، أعرف مدى العناء الانسانى الذى ندفعه فى سبيل النصر ، ولقد كنت اتتبع أنباء انتصاراتنا فى خشوع ، لأننى أعرف معنى الحرب ، ولقد كان أعظم القائلين ، هو الذى علمنا : كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم .

ويرحب العالم كله — وخصوصا الشعوب ، التى اكتوت بنيران الحروب وقاست الكثير من أوزارها ، وأوضارها ، وويلاتها — بنداء السلام الذى اطلقه أنور السادات فى قمة الانتصار . يرحب العالم كله الذى لم يعد يطيق الحرب ويريد ان يعيش فى سلام ، بنداء السلام ، اما أولئك ، الذين لم يحاربوا أبدا ، ولن يحاربوا ابدا ، الذين لا يفكرون ، الا بحناجرهم ، الذين وصفوا حرب أكتوبر بانها تمثيلية

وبأنها حرب تحريك ، لا تحرير ، هؤلاء ، انطلقوا وبكل ما يملكون من حماس ، وحناجر ينادون بالويل والثبور، وعظائم الأمور : ينادون باستئناف الحرب ، التى هاجموها لحظة نشوبها .. يصفون وقف اطلاق النار ، الذى اقدمنا عليه بعد ان دخلت امريكا الحرب ضدنا سافرة ، وبعد أن اقامت ــ وبصورة لم تحدث ، فى تاريخ، الولايات المتحدة ولا فى تاريخ غيرها من الدول ــ اكبر جسر جوى ، وبحرى تدفقت فيه على اسرائيل اكبر كميات من الدبابات الجديدة ، والطائرات الجديدة ، والمدافع الجديدة والصواريخ الجديدة ، والالكترونات الجديدة بينما كان أصدقاؤنا ، وحلفاؤنا لا يمدوننا بالضرورى من الأسلحة الا بالقطارة : مجموعة قليلة من الصواريخ ، تتبع مجموعة قليلة من الصواريخ و .. و .

***

وكان هؤلاء الذين ، لم يحاربوا ، ولن يحاربوا : الذين لم يخسروا فى الحرب جنديا واحدا ــ والذين سحبوا اسلحتهم وعتادهم من الميدان والحرب مستمرة ، هؤلاء الذين ضنوا على المحاربين بالقليل من البترول ، الذى ، لولا قيام حرب اكتوبر لما ارتفع سعره ، هؤلاء ، الذين خرجوا على الاجماع العربى وباعوا البترول الى أعداء الأمة العربية وخصومها بأعلى الاسعار بينما الجميع يقاطعون هؤلاء الاعداء والخصوم .. هؤلاء ، الذين ارتفع دخلهم بسبب الحرب من بضع مئات من ملايين الجنيهات الى بضعة الوف الملايين فى أيام قلائل ، يأبون ، الا أن يرتكبوا ــ فوق ما ارتكبوه من جرائم فظيعة يندى لها الجبين ــ اكبر جريمة فى حق مصر والعرب والتاريخ ، لقد راحوا ينفقون الاموال الطائلة من أجل احداث فتنة فى مصر ، راحوا يثيرون كل القوى المصرية لعلها تتقاتل ، وتتحارب ، ليصفو لهم الجو : راحوا يتهموننا ليل نهار بالخيانة ، والغدر ، لأننا ــ مثلا ــ جلسنا مع الاسرائيليين ، تحت علم الامم المتحدة ــ عند الكيلو ١٠١ وكأننا اقترفنا فعلا أخطر جريمة فى التاريخ البشرى كله!

فجأة ينسى هؤلاء الذين لم يحاربوا ابدا ، ولن يحاربوا ابدا، ان لقاء العسكريين المتحاربين معا أمر يتفق مع كل القوانين الدولية فهناك من القضايا ما يجب ان يحسم بالتقاء هؤلاء العسكريين .. ينسى هؤلاء مثلا ، اننا نحن العرب قد التقينا عشرات المرات مع الاسرائيليين فى رودس وفى غير رودس .

التقى العسكريون السوريون والعسكريون الاسرائيليون اكثر من مرة منذ عام ١٩٤٨ .

التقى العسكريون الاردنيون والعسكريون الاسرائيليون اكثر من مرة منذ عام ١٩٤٨ .

التقى العسكريون ، المصريون والعسكريون الاسرائيليون اكثر من مرة منذ عام ١٩٤٨ .

وكذلك التقى العسكريون اللبنانيون والعسكريون الاسرائيليون اكثر من مرة منذ عام ١٩٤٨ .

اتفاقية الهدنة العامة بين اسرائيل ولبنان فى ٢٧ اكتوبر ١٩٥٣ من الذى وقعها ، أو ليسوا هم اللبنانيون ، والاسرائيليون ؟ .. اتفاقية الهدنة العامة بين سورية واسرائيل فى ٢٧ اكتوبر ١٩٥٣ من الذى وقعها ؟ أو ليسوا هم السوريون ، والاسرائيليون ان الاتفاقية الخاصة بمنطقة جبل اسكوبس المنزوعة السلاح الموقعة فى ٧ يوليو ١٩٤٨ قد وقعها عن الجانب الاردنى «لاش» وليست اعرف من يكون لاش هذا، كما وقعها عن الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل القائد العسكرى اليهودى شالتيل ، ووقعها فى نفس الوقت ، عن الامم المتحدة :جان نيونهايز رئيس لجنة الهدنة وتيلزبرانسون ، كبير المراقبين الدوليين قسم القدس بل أن ملحق ، تلك الاتفاقية قد وقعه ــ وانعمى لو وجدت مساحة لانشر فيها هذه التوقيعات ــ الليفتنانت كولونيل عبد الله التل ، الكولونيل روجر . ت ــ كارلسون ــ مشاة الاسطول الأمريكى وكبير مراقبى الامم المتحدة ليفتنانت كولونيل موشى دبان ، بيرلاندى ، القنصل الفرنسى ، عن رئيس لجنة الهدنة التابعة لمجلس الامن ، وهكذا يكون لقاء العسكريين الاسرائيليين مع العسكريين الاردنيين والسوريين واللبنانيين أمرا عاديا ، لا شذوذ فيه ولا اعتراض عليه ، أما عندما يلتقى العسكريون المصريون، بالعسكريين الاسرائيليين وتحت علم الامم المتحدة عند الكيلو ١٠١ فهنا تكون الطامة الكبرى والخيانة العظمى ، والانعزالية ، والاستسلامية والانفرادية و .. و .

***

وعندما توقع مصر فى ١٧ــ١ــ٧٤ الاتفاق الأول للفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية فى سيناء وتكسب مصر انسحاب الاسرائيليين من الضفة الغربية للقناة بدون قتال ، وتسترد كثيرا من المساحات المصرية التى كانت محتلة بالقوات الاسرائيلية ، وتوفر من جنودها ما بين ثلاثين وأربعين ألف جندى، كان يمكن ان يسقطوا ــ كما يقول ، بعض الخبراء العسكريين العالميين ــ فى المعركة ،اذا ما حاولنا اجلاء القوات الاسرائيلية بالحرب ، لا بالوسائل السلمية. عندما توقع مصر تلك الاتفاقية تقوم قائمة ، اولئك الذين لم يحاربوا ابدا ولن يحاربوا ابدا ، يعلنون الحرب على مصر ، يتهمونها بالخيانة العظمى ، يلصقون بها ، وهى التى لا يوجد بها بيت واحد ، دون شهيد أو جريح أفظع التهم ، وأشنعها : وقد كان من الممكن قبول تلك الحملات العنيفة علينا لو انها جاءت من اناس حاربوا فعلا ، أو انها جاءت من اناس يريدون أن يحاربوا فعلا ! ولكنها للاسف جاءت من كثيرين ، يختلفون فى الاتجاهات والنزعات والايديولوجيات ولكنهم يتفقون على هدف واحد ، لا هدف غيره هو ان تصبح مصر دويلة ضعيفة هزيلة من الدرجة العاشرة لا يجب ان تقوم لها قائمة ولا يجب أن تسترد أنفاسها، وارضها، ولا يجب ابدا ــ وتحت اى ظرف من الظروف ــ أن تعيش فى أمان واستقرار كما يعيش غيرها من الدول .. انهم جميعا ــ مهما اختلفت أنظمة الحكم عندهم ، وتباينت أهدافهم البعيدة القريبة ــ يعرفون جيدا انهم اقزام صغار وانه لا مكان لهم بين العمالقة ، اذا ما عادت مصر ، الى ماكانت عليه من قوة ومنعة .. انهم جميعا يصابون بالهلع ، يتملكهم جميعا الأسى ، والحزن والألم ، لأن مصر حررت جزءا من أرضها ولم تفقد فى عملية التحرير هذه ثلاثين أو أربعين ألف جندى. ان الثلاثين او الاربعين الف جندى الذين تنقدهم مصر من ان يكونوا وقودا لحرب ضارية ضروس هم قذى فى أعين أولئك الذين لم يحاربوا ابدا ولن يحاربوا ابدا . فلتحارب مصر حتى آخر جندى من جنودها ، ولتدفع مصر ، ثلاثة أرباع ميزانيتها لشراء الاسلحة ليقف المصريون بالطوابير أمام الجمعيات الاستهلاكية بالمئات والالوف فى انتظار الحصول على كيلو سمك ، او كيلو أرز ، لتصبح مصر دولة جائعة كل هذا لا يهم ، المهم لديهم « أن ينفقوا هم اموال شعوبهم لشراء الصحف ، التى تسبح بحمدهم ، ولتجنيد المرتزقة للهتاف بحياتهم فى حلهم وترحالهم .. المهم لديهم، ان يشتروا لندن، وباريس وكل العواصم الاوربية والامريكية ، ولا يساهمون فى معركة

رجل الحرب صانع السلام

التحرير ، اذا ساهموا فيها الا بفتات موائدهم ، الا بجزء ضئيل جدا جدا من تلك الارباح الطائلة التي جنوها من حرب العاشر من رمضان التي لم يفقدوا فيها جنديا واحدا ، ولم يخسروا فيها بندقية واحدة .

***

وعندما توقع الشقيقة سورية على اتفاق قريب من اتفاق الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية: فيه مزايا أقل مما حصلنا عليه في مصر، لا يرتفع صوت واحد في صحافة هؤلاء الذين لم يحاربوا، ولن يحاربوا، ولا في اذاعاتهم ، لماذا ؟ لأن سورية التي وقعت الاتفاق ، وليست مصر ، مصر دائما وأبدا هي بالنسبة اليهم الخصم ، والعدو وقبل أن يعلن الاتفاق الثاني للفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية في سيناء قبل أن يعلن في أول سبتمبر ١٩٧٥ قبل أن يقرأوا الاتفاق ويعرفوا ما به من مزايا لمصر ، يشنون عليه أعنف الحملات .. ان انسحاب اسرائيل من أهم المناطق الحيوية في سيناء لايهمهم ، ان اجلاء القوات الاسرائيلية عن الممرات : الممرات التي يملك سيناء كلها من يملك السيطرة عليها لايهمهم، ان عودة آبار البترول في سيناء الى مصر ، تلك الآبار التي تنتج سنويا أربعة ملايين ونصف مليون طن من البترول قيمتها ٣٠٠ مليون دولار ويمكن أن يتضاعف كل ذلك بعد عودة تلك الآبار الى شعب مصر ، عودة آبار البترول الى مصر واكتفائها الذاتي ببترولها ، أمر لايهمهم .. جلاء القوات الاسرائيلية عن ٢٠ ألف كيلومتر مربع من الاراضي المصرية المحتلة ، كان يمكن أن نفقد من أجل تحريرها عشرات الآلوف من الجنود المصريين كل ذلك لايهمهم ، اذن فما الذي يهمهم حقيقة ؟ يهمهم أن تشحذ مصر ، أن تركع على قدميها ، يهمهم أن تستذل مصر ، يهمهم أن تريق كل يوم ماء وجهها .. ذلك هو الذي يهمهم في الحقيقة .. لاتهمهم القضية العربية ، لاتهمهم القضية الفلسطينية ، لايهمهم أبدا تحرير الارض العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، ولا يهمهم أبدا أن تضعف اسرائيل في مواجهة مصر ، والا لو كان أمر اضعاف اسرائيل يهمهم ، لقدروا جيدا تلك الصيحات التي انطلقت في اسرائيل غاضبة ، متهمة حكومتها بالتراجع عن استراتيجيتها ، وعن مصالحها و .. وبعد التوقيع على اتفاقية الفصل بين القوات . لو أن هؤلاء الذين لم يحاربوا أبدا ولن يحاربوا أبدا ، قرأوا بعض الكتب التي كتبت عن حرب أكتوبر ، لو قرأوا عيد الغفران لجوزيف كيسل عضو الاكاديمية الفرنسية .. لو قرأوا كتاب « التقصير » . لو أنهم قرأوا الأيام المؤلمة في اسرائيل لجان كلود جبير ، لو أنهم قرأوا الاعداد لحرب الشرق الأوسط (١٩٦٧ - ١٩٧٣) لجون بولوك ، لو أنهم قرأوا السادات يتحدى لدينوتر سكوبالدي ، لو أنهم

قرأوا العبور العظيم : الروح المصرية الجديدة ، لا بريش هلمنسدورفر لو أنهم قرأوا عشرات بل مئات الكتب والدراسات عن حرب أكتوبر التي كتبها كبار الكتاب - من جميع الجنسيات والاتجاهات - في العالم كله لما قالوا عن تلك الحرب ، إنها تمثيلية وانها حرب تحريك لا تحرير، ولو انهم قرأوا كل ما كتب في صحافة العالم ، واستمعوا الى كل ما جاء في اذاعاته عن سياسة مصر الدولية بعد حرب ١٩٧٣ ، لعرفوا جيدا ، ان لم يكونوا يعرفون ، أن مصر قد وضعت القضية العربية بصفة عامة والقضية الفلسطينية بصفة خاصة في وضعها الطبيعي ، وان مصر - ومعها شقيقاتها العربيات - قد كسبت الرأي العام العالمي بنسبة ١٠٠ ٪ الى جانب الحق العربي ، وان مصر ، ومعها شقيقاتها العربيات - قد وضعت اسرائيل في عزلة دولية - بعد أن صدرت اليها اليأس والقنوط والتمزق - بصورة لم تحدث بالنسبة لها منذ عام ١٩٤٨ الى اليوم .. ان هؤلاء الذين لم يحاربوا ولن يحاربوا هم آفة الأمة العربية : هم العقبات التي توضع في طريق تقدمها وتطورها : انهم حملة شعارات لا أكثر ولا أقل . هم - في الغالب - لا يحملون هذه الشعارات حبا في الشعارات ، ولكنهم يحملونها لان سادتهم يريدون منهم حملها : ان حملة الشعارات - حقيقة - هم المسئولون عن كل نكبة حلت بالامة العربية، هم المسئولون عن تلك المجازر التي وقعت في الاردن في عامي ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، وكان الفلسطينيون والاردنيون هم ضحاياها ؟ ، أو ليسوا هم المسئولون عن تلك الحرب الأهلية العنيفة المخيفة التي وقعت في لبنان في العامين الماضيين والتي كان ولا يزال ضحاياها ، هم اللبنانيون والفلسطينيون .

بل انني لا أعدو الحقيقة اذا قلت ، ان حملة شعارات من نوع خاص ، كانوا هم الذين الحقوا بنا الهزيمة المرة المنكرة في عام ١٩٤٨ الم يكن بعض هؤلاء يكتفون باطلاق الرصاص من مسدساتهم - مثلا - في ميدان الاوبرا ومن فندق الكونتنتال بالقاهرة اشارة الى بدء الزحف المقدس الى فلسطين في الوقت الذي كانوا يعرفون فيه جيدا اكثر من غيرهم المؤامرات التي تحاك في الداخل وفي الخارج لوقف هذا الزحف ، بل للقضاء عليه ؟ الم يكن بعض هؤلاء وراء رفض قرار التقسيم ، الذي وافقت عليه الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، والذي كان يعطي الفلسطينيين الجزء الاكبر من الاراضي الفلسطينية اذا اصغى اليه الشعب الذي دفع الكونت فولك برنادوت ، الوسيط الدولي حياته ثمنا لاقتراح اضافته الى الجزء العربي الم يكن من المصلحة مثلا ، ان نأخذ هذا الجزء ونطالب بالجزء الباقي بدلا من ان نرفض الجزء ، الى ان ياتينا ، الكل فلا ياتينا ، لا الكل ولا الجزء طوال ثلاثين عاما ؟ . ثم الم تكن نكتفي بأن نقيم ماسمي بحكومة عموم فلسطين لا تمتلك الا شقة في عمارة متواضعة في القاهرة ليس لديها اية قوة ، حتى لحراسة شقتها ، وليتنا اجمعنا على الاعتراف بتلك الحكومة لقد كان بعضنا يرفض الاعتراف بها ، بل يرفض الجلوس مع اعضائها ، في الوقت الذي يلتقي فيه بايبان وبادين ودايان، وهارإكابي ، وجولدا مائير و .. و.. الم نكن نتلذذ ، باطلاق اسم اسرائيل المزعومة مكتفين في محاربتها باطلاق هذا الاسم عليها في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تلعب - وبمهارة - على الشرق والغرب ، لبناء نفسها ؟ ! هل يمكننا مثلا ، ونحن في مفترق طرق ، أن نقف وقفة موضوعية عند الثلاثين عاما الماضية : نحاسب فيها انفسنا نصارح فيها بعضنا البعض بما حققناه وبما فشلنا في تحقيقه، طوال الثلاثين عاما الاخيرة . هل من نظرة سريعة ، الى اسرائيل ، بحدودها في عام ١٩٤٨ وحدودها في عام ١٩٥٦ ، وحدودها في عام ١٩٦٧ : هل من رد صريح - نرتفع فيه الى مستوى المسئولية القومية - على هذه الأسئلة البسيطة . الم يحرز المد الصهيوني التوسعي ، المزيد ، من الارض ، أو من النصر مرة كل جيل تقريبا ، في الوقت ، الذي نفقد فيه نحن المزيد من الأرض ، والمزيد من القوة ، في كل جيل أيضا ، ثم من ذا الذي يقف ، الى جانبنا ، من دول العالم ، اذا ما حاولنا اجتياز حدود اسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧ هل يقف الى جانبنا حليفنا الاتحاد السوفييتي ؟ هل تسكت علينا الولايات المتحدة الأمريكية وهي التي لم تسكت علينا في عام ١٩٧٣ ونحن نحرر ارضنا المحتلة ، بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ : هل تقف بريطانيا ، وفرنسا ، وكل دول المجتمع الدولي على الحياد ونحن نحاول القضاء ، على اسرائيل أو ونحن نحاول اجتياز حدودها قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ : ان الاجابة الصريحة الواضحة على كل الأسئلة هي التي تنير لنا طريق المستقبل ، ان هذه الاجابة الواضحة الصريحة عن تلك الاسئلة - وبدون انفعال ، أو تشنج - هي لب الموضوع ، كما يقولون: ولقد أجاب الرئيس أنور السادات عن كل تلك الاسئلة في خطابه الخطير - أخطر خطاب القاه مسئول عربي في السنوات الأخيرة ، في الكنيست الاسرائيلي :

« لقد أصبحت اسرائيل حقيقة واقعة اعترف بها العالم ، وحملت القوتان الأعظم مسئولية امنها وحماية وجودها . ان الأمة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف أو اهتزاز بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن ادراك حضارى بانه لكى نتجنب كارثة محققة ، علينا وعليكم وعلى العالم كله ● اننا لا نقبل عقد اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل ولا نقبل سلاما جزئيا ، ولا اتفاقية ثالثة لفض الاشتباك ● ان ارضنا لا تقبل المساومة وليست عرضة للجدل ، لا يملك أى منا أو يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه أو ان يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه ● هناك اراض عربية احتلتها ، ولا تزال تحتلها اسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ● ليس من المقبول ان يفكر احد فى الوضع الخاص لمدينة القدس فى اطار الضم أو التوسع ، وانما يجب ان تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين ● ان تلك المدينة يجب الا تفصل عن هؤلاء الذين اتخذوها مقرا ومقاما لمدة قرون ● يجب الا يخطىء احد تقدير الاهمية ، والاجلال اللذين تكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين ● ان الانسحاب الكامل من الارض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ امر بديهى لا نقبل فيه الجدل ، ولا رجاء فيه لاحد أو من احد ● ان السلام لا يمكن ان يتحقق بغير الفلسطينيين وقضية شعب فلسطين ، وحقوق شعب فلسطين المشروعة ، لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من احد بل لا يحتمل عقل يفكر ان تكون موضع تجاهل ، أو انكار ● لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى اقامة دولته وفى العودة ● لاداعى للدخول فى الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطينى ولا جدوى من خلق العقبات الا ان تتأخر مسيرة السلام ، او ان يقتل السلام ● اللغة الواحدة لعلاج المشكلة الفلسطينية هى فى ان تقوم دولتها ... » وبعد ذلك كله اسأل أى عربى لا يقول بمثل ما قاله أنور السادات فى الكنيست الاسرائيلى ؟ اى تعارض بين هذا الذى قاله انور السادات وبين كل مقررات مؤتمرات القمة فى الجزائر ، والرباط ، والقاهرة؟ ان المشكلة حقيقة ، ليست « مشكلة » قيام الرئيس السادات بزيارة القدس ومواجهة أعضاء الكنيست والشعب الاسرائيلى بما لم يسمعوه من قبل طوال الثلاثين عاما الماضية ولكن المشكلة الحقيقية ان فكرة الزيارة نبتت فى مصر ، وان الذى قام بالزيارة هو رئيس مصر وزعيمها ، وقائدها ، ولو ان تلك الزيارة قام بها مسئول عربى آخر لما احدثت كل تلك الضجة الهائلة عند حملة الشعارات ومن يخافونهم من غير حملة الشعارات .. لقد قيل ــ وما اكثر ما قيل ــ عن لقاءات سرية بل وعلنية بين بعض القادة العرب وبعض القادة الاسرائيليين ولا نريد ان نفصح اكثر من ذلك ، وقد كان انور السادات يستطيع ان يقوم بهذه الزيارة سرا او ان يستقبل فى القاهرة احد القادة الاسرائيليين سرا كما فعل البعض ، كان انور السادات يستطيع ان يوفد بعض رجاله ، للقيام بتلك المهمة بدلا منه وبدلا من ان يتعرض لاكبر مخاطرة فى التاريخ حيث يقوم حاكم بزيارة بلد لا تزال بلده فى حرب معها .. كان انور السادات يستطيع ان يوافق على مجىء زعيم اسرائيلى الى القاهرة ليستمع من الشعب العربى فى مصر الى مايريده الشعب العربى فى مصر ، كان ذلك كله او بعضه يمكن ان يحدث ولكن الرجل العظيم المؤمن بربه وشعبه ، ونفسه .. الرجل الواثق الى ابعد الحدود فى رعاية ربه ، وعنايته وفى تأييد شعبه له ، تأييدا مطلقا ، ابى انور السادات الا ان يقوم بتلك الرحلة التى لم تحدث ابدا فى التاريخ ليواجه المحتلين للاراضى العربية ، فى عقر دارهم ويقول لهم ، مالم يقله احد غيره لهم ولا لغيرهم .

« وبعد » فلقد ظللنا حقيقة ثلاثين عاما كاملة نفتقد تلك الشجاعة الاسطورية .. ظللنا ثلاثين عاما كاملة بحاجة الى من ينسحى بكل ما يملك ليقوم بتلك المبادرة الشجاعة التى صفق لها العالم كله شرقه وغربه .... ظللنا ثلاثين عاما وقضيتنا بحاجة الى وقوف العالم كله الى جانبنا بالثقة والحب والاحترام ، ظللنا ثلاثين عاما كاملة ننادى بايقاف الحروب التى لا قدرة لنا على مواجهتها حتى نتفرغ للبناء ، والعمل من أجل التقدم ، والخير ، ظللنا ثلاثين عاما نلقى بين كل جيل وآخر بزهرة شبابنا فى اتون حروب لم نستفد منها شيئا ، ظللنا ثلاثين عاما ننتظر البطل الذى يحقق لنا السلام الدائم القائم على العدل وتحقق لنا حلم الثلاثين عاما الماضية فى هذا الاسبوع .. وقد كنا ننتظر مثلا أن نختلف على تقييم تلك المبادرة فان الاجماع على مثل ذلك العمل الخطير الجبار غير معقول بل ولا مقبول . كنا ننتظر ــ مثلا ــ من يقول لنا ، هذه خطوة خطتها مصر ، على مسئوليتها ، فان افادت عاد الخير علينا جميعا منها ، وان اضرت فان الضرر يقع على مصر وحدها ، كنا ننتظر ــ مثلا ــ من يقول لنا ، لكم طريقكم ، ولنا طريقنا ، لم نكن ابدا ننتظر وبعد ان انكشفت والى الابد حملة الشعارات الكاذبة ان بين القيادات العربية من يخاف حملة الشعارات ، فيظهر غير ما يبطن ، ويبطن غير ما يظهر .. ولكننا فى مصر وقد تحملنا برضا ، وطواعية قدرنا ، نسير فى الطريق وراء قائدنا السادات لا نلوى على شىء ، لا نهتم ابدا بأية حملة من تلك الحملات المسعورة . . لقد استمعت يوم الاثنين الماضى الى من يدعى انتسابه الى مصر يقول فى محطة اذاعة عربية لم تخسر جنديا واحدا فى المعركة ، ولم تقدم قرشا واحدا للمعركة يطالب هذا المصرى بقطع الدعم عن شعب مصر كرد فعل للمبادرة الاخيرة .. مصرى يقول هذا الكلام فى محطة اذاعة عربية ضد شعب مصر ، الذى قدم من أجل القضية العربية ، بصفة خاصة وخلال الثلاثين عاما الاخيرة ما يقرب من مائة الف شاب من خيرة شبابه كما قدم ثلاثة أرباع ميزانيته ــ وكانت فى الماضى تعادل ميزانيات الدول العربية مجتمعة ــ طوال عشرة اعوام كاملة من أجل القضية العربية ، بصفة عامة ، ومن أجل القضية الفلسطينية بصفة خاصة .. شعب مصر الذى جاع ، وتعرى ووقف فى طوابير ، وكان فى الماضى القريب اغنى الدول العربية واكثرها عونا لشقيقاته العربيات .. هذا الشعب العظيم المعطاء دائما المضحى دائما ، ولو كان به خصاصة يوجد من ينسب اليه زورا وبهتانا ، ليقول مثل هذا الكلام فى محطة اذاعة يملكها شعب عربى ، وتسيطر عليها حكومة عربية .

وتبقى بعد ذلك كله كلمة أخيرة نقولها لبعض الذين لم يقتنعوا بعد بفائدة تلك المبادرة العظيمة الشجاعة : لا تتعجلوا الأمور ، ولا تقسوا فى الهجوم على شعب مصر الى هذا الحد الجارح اذا كنتم تريدون حقا خدمة القضية العربية . لقد قالها لكم انور السادات اكثر من مرة لو كانت القضية قضية سيناء وحدها لما استغرق حل المشكلة اكثر من دقائق ولكن المشكلة مشكلة الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ومشكلة فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية . حذار من قسوة الهجوم على شعب مصر ، فان شعب مصر أوشك أن يقبض به الكيل .

اما انت يا سيدى الرئيس والقائد ، فتوكل على الله ، ان شعبك كله يقف خلفك بكل ما يملك من ايمان وقوة ، واصرار وتضحية ، ومن يقف الشعب كله الى جانبه لا يخشى ابدا كلمات البلهاء الذين لم يحاربوا ابدا ولن يحاربوا ابدا والذين ما اوجدهم خصوم الامة العربية فى هذه الارض العربية الا ليضعفوا ــ اذا امكن ــ مسيرتها وبارك الله فيك يا تميرى .